شبهة لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحداً

كتبه صهيب الرومي بتاريخ الأثنين ٢١ رمضان ١٤٤٢

استكمالا لما بدأته من الرد على أشهر شبهات القائلين بالعذر بالجهل بالجهل فإنني أواصل اليوم لأناقش إحدى أهم الشبهات التي يرتكزون عليها وأسهلها ردا بإذن اللّٰه، ألا وهي شبهة الرجل الذي قال لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، الواردة في الحديث:

«كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت، قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فواللّٰه لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر اللّٰه الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب، خشيتك، فغفر له»

في الواقع وأنا أحضر لهذا المقال، صدمت باختلاف من سلف في توجيه كلام الرجل إلى سبعة أقوال بحسب ما نقل هذا المصدر

كما أنني فوجئت بأن هذا الحديث كان سبباً في ضلال كثير من الناس، إما ليطعنوا به في الصحة السنة النبوية، حيث قالوا أنه عارض القرآن، وهو صحيح عند أهل السنة في أعلى مراتب الصحة، إذاً السنة غير صحيحة عندهم لأنها تفضي إلى معارضة القرآن.

وإما ليعتبروه دليلا على العذر بالجهل، بدعوى أنه كفر حيث شك في قدرة اللّٰه، واللّٰه عذره في ذلك، لأنه كان جاهلا أن اللّٰه على كل شيء قدير.

في الحقيقة الذي صدمني هو كيف أن كل هؤلاء لم يروا إجابة الرجل عن نفسه عند رب العالمين وهو فيها صادق لا ريب، فكلهم تمسك القول:

لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا

وأخذ يحلله، بعضهم يقول لقد شك في قدرة اللّه، وبعضهم يقول قدر هنا بمعنى ضيق، وآخر يقول لم يكن في وعيه ساعتها، إلى غير ذلك من التوجيهات

والعجيب أنهم لم يسمعوا كلام الرجل حين سأله ربه :

ما حملك على ما صنعت؟

فقال:

يا رب، خشيتك

فقط!!!

وهو صادق فيما قال، فالله مطلع على ما في صدره.

لم يقل له كنت أظن أنني سأُفلت من قدرتك، ولن تستطيع جمعي، كما يظن الذين قالوا أنه شك في قدرة اللّه.

ولم يقل له، لم أكن في وعيي حين قلت ما قلت، كما يؤول البعض.

كل الأمر أن الرجل من فرط خشية اللّه، فعل ما فعل، وليس هناك سبب آخر.

العجيب كيف أن الكل قرأوا هذا الحديث، ثم لم ينتبهوا لجواب الرجل الصريح عن نفسه، سبحان اللّه كيف أعمى الناس عن كلام الرجل، وذهبوا يؤولون كلمته الأولى وهم في غنى عن ذلك.

إن هذا الحديث يؤكد المفعول المزدوج للوحي، فهو بالنسبة للمؤمنين حق وموعظة، وبشارة من رب العالمين.

وبالنسبة للكفار هو سبب في الكفر إما بالسنة، أو بالإسلام نفسه واعتباره يصح مع الجهل.

وقد أخبر ربنا عز وجل عن هذا المفعول المزدوج في قوله:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا﴾

[الإسراء: ٨٢]

نسأل اللّٰه العظيم أن يهدينا بالوحي ويجعله رحمة لنا وموعظة وبشارة, كما هو للمتقين, آمين.